

الشهيد الحق وملحمة العبور العظيمة

١٩ من ذي الحجة ١٤٣٦ هـ الموافق ٢ من أكتوبر ٢٠١٥ م

أولاً: العناصر:

- ١- الإيمان بالله تعالى وبركة "الله أكبر".
- ٢- كرامة الشهيد عند ربه.
- ٣- رسالة إلى المتخاذلين.
- ٤- العزيمة الصلبة والإرادة القوية.

ثانياً: الأدلة:

الأدلة من القرآن:

- ١- يقول الله تعالى : {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤]
- ٢- ويقول تعالى : { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرحينَ بما آتاهمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]
- ٣- ويقول تعالى: {أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ} [النساء: ٧٨].
- ٤- ويقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧] .
- ٥- ويقول تعالى: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ } [الصافات : ١٧٣، ١٧١] .
- ٦- ويقول تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

الأدلة من السنة :

- ١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنَّ رِجَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ؛ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْرُؤُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ » [أخرجه مسلم].
- ٢- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ " (سنن الترمذي).

٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَنْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ» . [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ] .

٤- وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُسَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» [سنن الترمذي].

ثالثاً: الموضوع:

تحتفل مصرنا الحبيبة في هذه الأيام بذكرى انتصارات السادس من أكتوبر العاشر من رمضان ، هذه الملحمة الكبرى التي تجلى فيها معدن الجندي المصري بإيمانه بالله عز وجل وثقته في نصر الله تعالى له، وصدقه مع نفسه، وقوة عزمته وإرادته في تحقيق هدفه ومراده، فحين تكون الأهداف سامية، والمقاصد شريفة، والغايات نبيلة؛ فإن التضحيات لا بد أن تكون غالية ونفيسة وجليلة، وليس أعلى ولا أنفس ولا أجل من التضحية بالنفس طلباً للشهادة في سبيل الله تعالى، وذلك حين يبذل المرء روحه دفاعاً عن دينه، وأرضه، وعرضه، وذوداً عن حياض وطنه، وهذا ما نحاول أن نستلهمه اليوم ونحن نتذكر - والذكرى تنفع المؤمنين - ما أكرم الله به مصر ورجالها الأبطال في معركة الكرامة والعزة؛ معركة العبور في العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر منذ اثنين وأربعين عاماً ، تلك الملحمة العظيمة التي سطر من خلالها أبطال مصر وحماتها الأبرار أروع البطولات، وأندر المواقف ، ولنا مع تلك الذكرى الجليلة المهيبة دروس وعبر ، منها :

الإيمان بالله تعالى وبركة " الله أكبر":

إن إيمان المصريين بالله عز وجل منحهم الصلابة والإصرار في مواجهة عدوهم وجعل كلمة السر في تلك الملحمة -صيحة "الله أكبر"-، تنطلق من أعماق كل جندي مقاتل كان ينتظر هذه اللحظة ليسترد كرامة وطنه وأمتة؛ تلك الصيحة التي أنطق الله بها الصائمين وقد بات من اليقين في قلوبهم أن الله أكبر من كل كبير؛ فأخذوا بالأسباب أحسن ما يكون الأخذ بها، وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من وسائل القوة وعدة القتال والتدريب، وما بقى إلا أن يخوضوا المعركة، مُوقنين بأن النصر لا يأتي إلا من عند الله، صدقوا الله فصدقهم الله، أخلصوا لله تعالى فنصرهم الله، توكلوا على الله فما خذلهم الله، كبروا الله فأعزهم الله .

فلنجعل الله في نفوسنا وفي حياتنا أكبر من كل كبير؛ أكبر من أبنائنا، وأموالنا، ودنيانا، وأعدائنا، وكيف لا، وتكبيرُ الله حاضر في كل شؤون حياتنا؛ فبالتكبير نفتتح أذاننا، بالتكبير نستهل صلاتنا، بالتكبير نستقبل مولودنا، بالتكبير نبدأ أعيادنا، بالتكبير نخوض معاركنا، ووالله لو كبرنا الله حقا في كل أمورنا، لرأينا كل ما سوى الله صغيراً ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: ٧] وقال تعالى (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) {الروم: ٤٧}.

كرامة الشهيد عند ربه.

ومع هذا الإيمان والثقة في نصر الله لهم وأخذهم بالأسباب في الإعداد الجيد والتخطيط السليم كانت الروح المعنوية في أعلى درجاتها وتمنت أرواحهم إحدى الحسينين: النصر وهو محقق إن شاء الله ، أو الشهادة في سبيل الله تعالى ، وهو ما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنَّ رِجَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ؛ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَعْرُؤُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ » [أخرجه مسلم] ."

وهو ما أيقن به هؤلاء الذين جادوا بأرواحهم الغالية سهلة في سبيل الله فهانت في قلوبهم الدنيا بزخرفها وزينتها، واستحقوا ما أعد الله للشهداء من كرامة في الدنيا والآخرة، وما أخبر الله سبحانه وتعالى به من أن الشهداء أحياء وليسوا أمواتاً؛ يقول تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٤]، ويقول أيضاً: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]، نعم إنهم أحياء وليسوا أمواتاً، إنهم يُرزقون، ورزقهم من الله الذي جعل أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، ومن ثم فهم فرحون بما أعطاهم الله؛ حيث جنة الخلد التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويستبشرون بإخوانهم القادمين عليهم؛ وذلك لحبهم إنزالهم هذه المنزلة التي أنزلهم الله إياها، فلا حزن، ولا غم ولا هم، بل استبشار، وفضل، ونعيم.

هذا إضافة إلى تخفيف الله للألم الذي يجده الشهيد عند القتل إلى الحد الذي قال عنه (صلى الله عليه وسلم): "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة".

كما أن الشهيد ينجو من فتنة القبر (أي من سؤال الملكين)؛ فقد روى أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): "كفى ببارقة السيوف

عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةٌ " ، وفوق كل هذا فإن الشهداء يتميزون يوم يقوم الناس لرب العالمين بهيئة خاصة، وبريح طيبة تنبعث من أجسادهم تتناول لها الأعناق، وتنحنى لها الهامات إجلالا واحتراما؛ يقول (صلى الله عليه وسلم): "والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ (أى لا يُجرح) أحدٌ في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكَلِّمُ في سبيله إلا جاء يومَ القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك".

وإضافة إلى هذا كله إكرام الله للشهيد بِمَنْحِ عَظِيمَةٍ، وبشفاعة مخصوصة له في أهل بيته؛ يقول (صلى الله عليه وسلم): مبشراً الشهيد: " للشهيد عند الله ستُّ خصال يُغفر له في أول دُفْعة (أى في أول دَفْعة دم) ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويُزَوِّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويُشَفَّع في سبعين من أقاربه"، إنه نعيم جعل الشهداء يتمنون العودة إلى الدنيا كي يقتلوا في سبيل الله عشر مرات؛ يقول (صلى الله عليه وسلم): "ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة .

ثم إن للإنسان أجلاً لن يخطئه أبداً ، يقول الحق سبحانه : {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤] ، ويقول سبحانه: { قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: ١٥٤]، نعم فالأجل مقدر وموقت {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ} [نوح: ٤]، {أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ} [النساء: ٧٨].

ورحم الله خالد بن الوليد (رضى الله عنه) حين وافته منيته وهو على فراش الموت قال: لقد خُضْتُ من المعارك كذا وكذا، وما في جسدي موضعُ شبرٍ إلا وفيه طعنة برمح، أو ضربة بسيف ، أو رمية بسهم، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. فلنكن صادقين مع ربنا ومع أنفسنا، ولنسأل الله الشهادة بصدق حتى يكتب الله لنا أجر الشهداء، فإن من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه كما بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد سمع سيدنا عمير بن الحُمَامِ الأنصاري النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول للمجاهدين يوم بدر: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فقال يا رسول الله: جنة عرضها السموات والأرض؟ قال نعم قال بخ بخ [وهي كلمة تقال لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير] فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه [أى جرابه] فجعل يأكل منهن ثم قال لئن

أنا حَيِّتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة قال فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل "، أى شهيدا في سبيل الله.

وجاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنيم النبي (صلى الله عليه وسلم) سبياً فقسّم وقسّم له فأعطى أصحابه ما قسّم له وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا قالوا قسّم قسّمه لك النبي (صلى الله عليه وسلم) فأخذه فجاء به إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال ما هذا؟ قال قسّمته لك ، فقال الأعرابي : ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمي إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو فأُتِيَ به النبي (صلى الله عليه وسلم) يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) أهو هو؟ قالوا: نعم ، قال: صدق الله فصدقته ثم كفنه النبي (صلى الله عليه وسلم) في جُبتِه ثم قدّمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: "اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلك".

فهنيئاً لشهداء ملحمة العبور الخالدة، أولئك الذين ارتوت بدمائهم الزكية أرض مصر الطاهرة، وأسأل الله أن يكتب لنا الشهادة في سبيله دفاعاً عن الدين، وذوداً عن الوطن والأرض والعرض؛ فإن الشهيد هو من مات دون دينه ، ودون أرضه، ودون عرضه، ودون ماله.

وهنيئاً لشعب مصر بجنوده الأبطال الذين اعتصموا بحبل الله تعالى وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واستطاعوا بعزيمة قوية ويقين ثابت راسخ أن يعبروا ببلدنا الحبيبة مصر إلى بر الأمان ، فقد صمدوا في مواجهة التطرف والإرهاب ، وجنبوا مصرنا الغالية الولايات التي يشهدها كثير من دول المنطقة ، وسيستمر هذا الصمود حتى ندحض الإرهاب الأسود ونقضي عليه ، ونريح منطقتنا والعالم كله من شره بإذن الله تعالى ، ثم إن علينا دوراً آخر لا يقل أهمية عن مواجهة الإرهاب وهو الانطلاق والعبور إلى برّ التنمية والرخاء ، والعمل والإنتاج ، لنثبت للدنيا كلها أن من عبروا خط برليف الحصين واقتحموا حصون النيران في أكتوبر ١٩٧٣ قادرون على اقتحام كل الصعاب في سبيل تحقيق الأمن والأمان والتنمية والرخاء بإذن الله تعالى .